الإنسان والفطرة السليمة

إعداد الدكتورة
أسماء حسن أبو عوف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الديانات السماوية أساسها جميعًا الإيمان بالله واليوم الآخر . ولم تعرف الإنسانية في تاريخها الطويل أمة عاشت بلا عقيدة دينية لأن العقيدة لازمة للبشر لزوم الماء والهواء للإنسان .

"فالعقيدة هي المعتقد النفسي الذي تطمئن إليه النفس ويمتلئ به القلب"(١).

ومن منطلق العقيدة يكون السلوك القويم بما لها من سلطان على صاحبها حيث هي الضابط الذي يحكم التصرفات ويوجه السلوك كما أن دعوات الرسل جميعًا تلاقت في جوهر العقيدة وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وما فيه من ثواب وعقاب ورسالات الله وإن تعددت بتعدد الأنبياء والرسل فهي تختلف باختلاف الشرائع ، أما العقيدة فهي واحدة إلى جميع الأنبياء

(١) د/ محمد يوسف موسى. العقيدة وخطر الانحراف صـ٣٠ سنة ١٩٦٣م .

والرسل وكلها ذات هدف أساسي وهو التوحيد وكلها تحمل اسمًا واحد وهو الإسلام الذي دعا إليه جميع الرسل. قال -تعالى- : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ** ﴾ (١) .

فالعقيدة هي اللبنة الأولى في بناء الفرد الذي يكون المجتمع ، ولا ريب أن الإسلام هو النظام الذي به تصلح الحياة ، ولا صلاح للحياة إلا بتطبيق حكم الله، عقيدة وشريعة وأخلاقًا ؛ لأنه لا مكان للأخلاق بدون عقيدة .

والإسلام يشتمل على العقيدة والشريعة والأخلاق ، والعقيدة هي الأصل والأساس الذي يدفع إلى الشريعة ، وكما قلنا أن العقائد واحدة لا تختلف من دين لآخر ، قالها جميع الرسل أن أعبدوا الله واليوم الآخر . قال -تعالى- : ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾(٢) .

بينما بعض الشرائع تختلف من دين إلى آخر . قال -تعالى-: ﴿ ... **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ... ﴾ (٣) .

فالشريعة هي العمل بما تمليه العقيدة بامتثال أوامر الله واجتناب محارمه والتزام الإنسان ذلك في سره وعلانيته .

وبذلك تنبثق الأخلاق عن العقيدة والشريعة فالأخلاق هي ثمرة العقيدة السليمة والشريعة الصحيحة ؛ لأن الأوامر والنواهي في الإسلام من الله -سبحانه وتعالى- وهدف الأخلاق في مفهوم الإسلام التقوى والتقوى عملاً وسلوكًا هي

(١) سورة آل عمران جزء من الآية ١٩ .

(٢) سورة الشورى الآية ١٣ .

(٣) سورة المائدة جزء من الآية ٤٨ .

أخلاق كتجنب الحرام والإقبال على الحلال واليقظة الدائمة للمحافظة على الاستقامة وتطهير النفس من الانحراف ، ولهذا فالإسلام منهج إنساني متكامل للفرد والجماعة قوامه العقيدة والشريعة والأخلاق ولذلك يكون الدين هو الرقيب الذاتي داخل النفس يدفع الإنسان إلى مراقبة الله .

بمعنى أن في فطرة الإنسان وطبيعة تكوينه استعدادًا فطريًا إلى مناجاة ربه .

فلنتكلم عن الفطرة السليمة؛ لأني قصدت من هذا البحث أن نرجع إلى الإسلام بما فيه من عقيدة وشريعة وأخلاق، وأن أعرض جانب التربية من خلالهم، على أنه توجيه إلهي، يُطالب المسلم بالتزامه، ويعتبر مقصرًا في حق الله –تعالى– حين يُعِر من عنه .

ونرجو من وراء هذا البحث أننا نلفت أنظار المنصفين إلى أساليب التربية السليمة، والأخلاق الرائعة التي أرشدنا إليها الإسلام بما فيه من كنوز حافلة بالنفائس .

خطة البحث: يشتمل هذا البحث على مقدمة التى نحن بصددها وبينت فيها أهمية البحث والأسباب الدافعة إلى اختياره ، ثم خمسة مباحث وخاتمة.

ويشتمل **المبحث الأول** على ميلاد الإنسان على الفطرة .

و**المبحث الثاني** تقوى الله ومراقبته وفيه مطلبين: مطلب بعنوان تعريف التقوى لغة واصطلاحًا ، والمطلب الثاني بعنوان أنواع التقوى .

والمبحث الثالث: نشأة الإنسان على الفطرة والطبيعة .

والمبحث الرابع: مكونات الفطرة .

أما **المبحث الخامس:** بعنوان عوامل نمو الفطرة .

ثم الخاتمة ثم ثبت المصادر والمراجع .

المبحث الأول
ميلاد الإنسان على الفطرة

الإنسان والفطرة السليمة:

عقيدة الإنسان مركوزة في فطرته والاعتقاد الصحيح باعث لصاحبه على أداء التكاليف بجانبيها الإيماني والعملي كالصلاة والصوم في طواعية ويكون أيضًا دافعًا لصاحبه على الالتزام الخلقي والسلوك السوي ، وذلك بمراقبة الله –تعالى– في السر والعلانية ، وتلك المراقبة هي التقوى وهي ليست خاصة بقوم دون آخرين .

والفطرة السليمة والعقيدة الصحيحة والتقوى هي مجموع الآمان للحياة وللإنسان ضد أي انحراف ، فالفطرة السليمة هي أصل ما خلقنا عليه .

وقد بين الله –تعالى– أن الإسلام دين الفطرة . قال –عز وجل– : ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (١) .

ولا قيمة في الإسلام لعبادة أو أخلاق لا تزكى صاحبها ولا تطهر نفسه ولا تجنبه الانحراف ؛ لأن الفطرة السليمة هي أصل ما خلقنا عليه وأي انحراف لها هو تمزيق للإنسان من داخله ومن خارجه فلا تستقيم معه حياة ولا تستقيم به حياة .

فالله –تعالى– فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره بمعنى أن في فطرة الإنسان وطبيعة تكوينه استعدادًا فطريًا لإدراك بديع مخلوقات الله والاستدلال بها على وجود الله وتوحيده (٢) . فالنفس أو الفطرة خلقها الله –تعالى– .

---

(١) سورة الروم الآية ٣٠ .

(٢) معالم في السلوك د/ سعد المرصفي صـ٨ يتصرف .

فالتدين والاعتقاد دافع نفسي له أساس فطري في طبيعة تكوين الإنسان مهما ابتعد الإنسان عن منهج الله فلن يستطيع أن يغير فطرته .

قال -تعالى-: ﴿...**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ...**﴾ (١) .

وقال ﷺ : " **ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء** " (٢) .

وعلى ذلك فالإسلام دين ونظام وحياة لا تنفصل فيه العلاقة بين الله والإنسان أو بين الإنسان والإنسان فهو المنهج الكامل لإصلاح تربية الإنسان وتقويمه.

فهو دين يهدف إلى إقامة المجتمع الفاضل والإصلاح الخلقي وتنشئة الإنسان على السلوك القويم لأنه دين يزكي النفس ويطهرها ويقيم في جوانبها الوازع القوي الذي يشعر دائمًا بمراقبة الله -تعالى- له في كل شيء وكل خطوة يخطوها وهنا تزكو نفس الإنسان إلى فعل الخير وعمله والبعد عن الشر .

فالدين أقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها وانتظام أمورها وسلامتها.

ولذلك جاء الإسلام خاتمة الشرائع السماوية فورثها وهيمن عليها وهذه نعمة كبرى للإنسان دينًا وخُلقًا .

ولذلك يجب أن تكون تربية أخلاق (النشئ) الجيل الصاعد يجب أن تقوم على التربية الإسلامية التي مصدرها القرآن والسنة النبوية المطهرة .

---

(١) سورة الروم من آية ٣٠ .

(٢) البخاري كتاب الجنائز . باب ما قيل فى أولاد المشركين ٣٦٦/١ ح١٣٨٥ . عن أبى هريرة ط الإيمان بالمنصورة ١٤١٩ هـ . ١٩٩٨ م . .

ولذلك هناك معاني يجب أن تتوفر مفاهيمها لدي أبناءنا ، حين تنشئتهم التنشئة السليمة حيث يولد الإنسان على الفطرة المسلمة السليمة وتلك هي معاني التقوى والورع ومراقبة الله –تعالى– . قال –عز من قائل–: ﴿... **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ...﴾ [(١)] ؛ لأن أصل التقوى : اتقاء الشرك ، ثم بعده اتقاء المعاصي والسيئات ، ثم بعده اتقاء الشبهات ، ثم يدع بعده الفضلات أي الفضول .

ولذلك نرى أن ابن مسكويه حرص على التمسك بالشريعة في تربية الأخلاق وأشار إلى أهمية الأوامر الإلهية وعظم أمر الدين في هداية الإنسان إلى الطريق المستقيم ، وتقريبه إلى الحكمة البالغة ، بل جعل الدين أساسًا في تربيتنا للنشئ ، يجب أن نعتمد عليه لأن الدين هو حصن ينبغي أن نحصَّن به الشباب [(٢)] .

فيمكننا أن نقول أن العقيدة قوة دافقة في النفس وفي القلب والعقيدة السليمة أساس التفكير الديني وأساس الإصلاح الخلقي .

وعلى ذلك فالأخلاق بمعنى الدين عبارة عن نظام من العمل غايته تحقيق الحياة الطيبة ، ونمط من السلوك مع النفس والغير ؛ لأن الدين في مضمونه عبارة عن الواجبات التي يلتزم بها الإنسان نحو الله ، ونحو نفسه وغيره من المخلوقات .

وما ينبغي أن يكون لا يؤخذ إلا من الوحي فقد جاءنا من الله رب العالمين وليس من أحد من الناس [(٣)] .

---

(١) سورة الحجرات جزء من آية ١٣ .

(٢) تهذيب الأخلاق لابن مسكويه صـ ١٥٣ ، ١٥٤ (بتصرف) .

(٣) مفاهيم العلوم الاجتماعية والنفس والأخلاق ، الأستاذ أنور الجندي صـ٥٥ ط الأولى دار الاعتصام سنة ١٩٧٧م (بتصرف) .

فالإيمان بعقيدة التوحيد هو الخطوة الأولى في إحداث تغير كبير في الشخصية فهو يُوَّلد في الإنسان طاقة روحية هائلة تغير مفهومه عن ذاته وعن الناس والكون بأكمله ، فالإيمان يملأ قلب الإنسان بحب الله والرسول والناس والإنسانية عامة ويبعث فيه الشعور بالأمن والطمأنينة [١] .

فالمحذّر من الشر والآمر بالخير إنما هو نداء آت من الله –تعالى– من ركن العقيدة الإسلامية التي تجعل صاحبها يؤمن بوجود الله ووحدانيته [٢] .

المبحث الثانى
تقوى الله ومراقبته

المطلب الأول: تعريف التقوى لغة واصطلاحًا

قال –تعالى– : ﴿ .. . **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** .. . ﴾ [٣] .

والوصية بالتقوى من . الله –تعالى– . وصية عظيمة ، وهي وصية للأولين والآخرين ، وقد أوصى رسول الله ﷺ صحابته بها فقال : "أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبد حبشي فإنه يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عُضَّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة " [٤] .

ولعظم معناها . التقوى . نذكر معناها في اللغة ، والاصطلاح .

---

(١) القرآن وعلم النفس د / محمد عثمان نجاتي صـ ٢٥٣ ط دار الشروق ١٩٨٢م (بتصرف) .

(٢) ضرورة الدين لإيجاد ذاتية الأخلاق ، أ / سعيد البوطي صـ ٢٤ ، جـ٢ دعوة الحق .

(٣) سورة الحجرات من آية ١٣ .

(٤) أخرجه الترمذي جـ٥ صـ٤٤ ، ٤٥ ح ٢٦٧٦ ، وقال (هذا حديث حسن صحيح) ط دار الحديث ، تحقيق إبراهيم عطوة ، والحاكم جـ١صـ١٧٤ ، وقال : " هذا حديث صحيح ليس له علة".

أولاً : معنى التقوى في اللغة :

فهي جاءت بمعان عدة منها :

١ ـ **الصيانة** : يقول ابن منظور : (وفي وقى وقاها وقيا ووقاية وواقية صيانة ... وقيت الشيء إذا صنته وسترته عن الأذى وهذا اللفظ خبر أريد به الأمر أي ليق أحدكم وجهه النار بالطاعة والصدقة)[١]. وقيل: الوقاية هي فرط الصيانة[٢].

٢ ـ **التجنب** : يقول ابن منظور : (قوله في حديث معاذ بن جبل): (وتوق كرائم أموالهم)[٣] أي: تجنبها ولا تأخذها في الصدقة لأنها تكرم على أصحابها وتعز فخذ الوسط لا العالي ولا النازل) [٤] .

٣ ـ **الحماية** : يقول ابن منظور : (وقاه حماه منه .. . وفي التنزيل العزيز : ﴿ **فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا** ﴾ [٥] .

٤ ـ استبقاء النفس وعدم تعريضها للتلف: يقول ابن منظور: (منه الحديث (تبقه وتوقه) [٦] أي استبق نفسك ولا تعرضها للتلف وتحرز من الآفات واتقها)[٧].

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور جـ١٥ صـ ٤٠١ .

(٢) انظر تحفة الأحوذي ، المباركفوري جـ٧صـ ١٢٥ .

(٣) أخرجه البخاري جـ٦صـ ٢٦٨٥ ، ومسلم جـ١صـ ٥١ ح٣١ ، واللفظ له .

(٤) لسان العرب ، ابن منظور جـ١٥ صـ ٤٠١ .

(٥) سورة الإنسان آية ١١ ، لسان العرب ، ابن منظور ، جـ١٥ صـ ٤٠١ .

(٦) أخرجه الطبراني في الصغير جـ٢صـ ٤٦ بلفظ (تتقه وتوقه) .

(٧) انظر : النهاية في غريب الأثر ، الجزري جـ٥صـ ٢١٦ ، وتاج العروس ، الزبيدي جـ٤صـ ٢٣٥ ، لسان العرب جـ١٥ صـ ٤٠١ .

٥ ـ **الحفـظ**: يقـول ابـن منظـور: (ووقـاه وقايـة بالكسـر أي حفظـه والتوقيـه الكلاءة والحفظ)[١].

٦ ـ **الدافـع** : يقول ابن منظور : (وفي التنزيل العزيز ﴿ **لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللهِ مِن وَاقٍ** ﴾ (الرعد:٣٤) . أي من دافع [٢] .

٧ ـ **الحـذر** : يقول ابن منظور : (وقـد توقيت واتقيت الشيء واتقيته أتقيه وأتقيه تقي وتقية وتقاء حذرته .. . والاسم التقوى) [٣] .

ثانيًا : معنى التقوى في الاصطلاح :

أيضًا ذكرها أهل العلم بعدة معاني هي :

١ ـ الحذر من عقوبة الله :

قال ابن كثير ناقلاً عن ابن عباس إن المتقين هم : (الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدي ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به) [٤] .

٢ ـ اتقاء عقاب الله :

يقول القرطبي : (المتقى فوق المؤمن والطائع وهو الذي يتقي بصالح عمله وخالص دعائه عذاب الله –تعالى– مأخوذ من التقاء المكروه بما تجعله حاجزًا بينك وبينه [٥] .

---

(١) لسان العرب ، ابن منظور جـ١٥ صـ ٤٠١ .

(٢) المرجع السابق ونفس الصفحة .

(٣) لسان العرب ، ابن منظور جـ١٥ صـ ٤٠١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير جـ ١صـ ٤٠ ، والتعريفات ، الجرجاني جـ١صـ٩٠ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي جـ١صـ ١٦١ .

وقال الطبري: (هم الذين يتقون عقاب الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه)[١].

وقال ابن رجب : (أصل التقوى :أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقية منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه) [٢] .

٣ ـ الاحتراز من عقوبة الله بالطاعة :

قال ابن الجوزي : (التقوى : اعتماد المتقي ما يحصل به الحيلولة بينه وبين ما يكرهه ، فالمتقى هو المحترز مما اتقاه) [٣] .

ويقول ابن كثير : (أصل التقوى التوقي مما يكره لأن أصلها من الوقاية) [٤].

ويقول الجرجاني : (هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته وهو صيانة النفس عما تستحق به العقوبة من فصل أو ترك) [٥] .

٤ ـ المحافظة على الشريعة من فعل الأمر وترك المنهي عنه : يقول الجرجاني : إن التقوى : (المحافظة على آداب الشريعة) [٦] .

ومن معاني التقوى في اللغة والاصطلاح نرى أن سببها الخوف الذي ينشأ عن العلم والتصديق بجلال الله وعظمته ،وعظيم سلطانه وعقابه .

---

(١) جامع البيان ، الطبري جـ ٢٩ ، ٦٨ ، وراجع : زاد المسير ابن الجوزي جـ١صـ٢٣ ، والجامع لأحكام القرآن ، القرطبي جـ١٨ صـ ٢٢٧ ، وتفسير ابن كثير جـ٤صـ ٤١٨ .

(٢) سير أعلام النبلاء ، الذهبي ٤/ ٦٠١ .

(٣) نزهة الأعين النواظر ، ابن الجوزي جـ١صـ ١٢٠ .

(٤) تفسير ابن كثير جـ١صـ ٤١ .

(٥) التعريفات ، الجرجاني جـ١صـ ٩٠ .

(٦) المرجع السابق ونفس الصفحة .

ولقد أوضح لنا رسولنا الكريم ﷺ أن موطنها القلب بقوله : (التقوى ها هنا) [1] وهو يشير إلى صدره ثلاث مرات.

المطلب الثانى: أنواع التقوى:

تقوى الله مدار كل فضيلة . بمعنى أن تصبح تقوى الله موجهة للإنسان نحو السلوك الأفضل والأحسن وتجنب السلوك السيئ والمنحرف وهذا يتطلب من الإنسان مجاهدة نفسه والتحكم في أهوائه وشهواته ، والتقوى تدفع بالإنسان إلى الإرتقاء بذاته ونضوج شخصيته وتكاملها واتزانها والتقوى بالله تصل بالإنسان إلى بلوغ الكمال الإنساني [2] .

لذلك قيل التقوى على وجوه : **للعامة** : تقوى الشرك ، **وللخاصة** : تقوى المعاصي ، **وللأولياء** : تقوى التوسل بالأفعال ، **وللأنبياء** : تقوى نسبة الأفعال ، إذ تقواهم منه إليه .

قال طلق بن حبيب : التقوى ، عمل بطاعة الله على نور من الله ، مخافة عقاب الله .

فالتقوى إنما هي مقياس الأخلاق الإسلامية للكمال الإنساني الذي يتفق والفطرة الإنسانية التي تقوم على طاعة الإنسان لخالقه وحسن صلته بأخيه الإنسان.

(١) أخرجه أبو يعلى فى مسنده ١٠١/١١ ح٦٢٢٨ ، وقال محققه إسناده صحيح ، وأخرجه أحمد فى مسنده ١٥٩/١٣ ح٧٧٢٧ ، عن أبى هريرة ط الرسالة .

(٢) القرآن وعلم النفس صـ ٢٥٤ ، د/ محمد عثمان نجاتي (بتصرف) .

حيث يولد الإنسان ولديه القدرة والصلاحية على فعل الخير والشر معًا وقد دعا القرآن الكريم إلى الإلزام الخلقي قال -تعالى-:﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾(١).

والإنسان ذو الفطرة الرشيدة أقرب إلى عمل الخير منه إلى عمل الشر بما منحه الله -تعالى- من القوى والملكات التي ترشده وتهديه قال -تعالى- : ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ ، ويقول الله -تعالى-: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ (٢) .

فيكون التمييز بين الخير والشر هو إلهام داخل مركوز في النفس الإنسانية قبل أن يكون شرعة سماوية. قال -تعالى-: ﴿...**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**... ﴾(٣) فأساس الأخلاق الإسلامية الإلزام والالتزام الخلقي فهي تجمع بين إلزام الفعل وإلزام القلب وفوق ذلك إلزام السماء " الوحي " الذي يسمو فوق كل إلزام مما يدفع الإنسان السير على هذه الأخلاق والإلتزام بها عن رغبة ورضى وهذه الأخلاق ليست مثالية بل واقعية عملية . ومما يدل على واقعيتها نراه في أجمل معنى للتقوى والورع ومراقبة الله -تعالى- تتوفر جميعًا لدى صبية صغيرة السن .

وتلك المعاني نحب أن تتوفر لدى أبناءنا جميعًا وتنشئه النشئ الصغير عليها منذ نعومة أظافره ، حتى يتسنى لنا أجيال صالحة ترعى حقوق الله سبحانه في كل صغيرة وكبيرة في حياتها ، وبمراقبتها لله سبحانه و-تعالى- فهي ترعى معه المجتمع والأمة .

---

(١) سورة الشمس الآية ٨ .

(٢) سورة التين الآية رقم ٤ .

(٣) سورة التغابن جزء من آية ١٦ .

وتلك هي المعاني المتوفرة لدى الصبية الصغيرة التي أثنى عليها ابن الجوزي لورعها في مراقبتها لله –تعالى– فقال : " أبو العباس بن مسروق قال : كنت باليمن رأيت صيادًا، يصطاد السمك على بعض السواحل ، إلى جنبه ابنة له . فكلما اصطاد سمكة فتركها في دَوْخَله . أي وعاء من خوص يوضع فيه التمر والزاد ونحوهما . معه ردّت الصبية السمكة إلى الماء ، فالتفت الرجل فلم ير شيئًا .

فقال لابنته : أي شيء عملت بالسمك ؟ فقالت : يا أبي أليس سمعتك تروي عن النبي ﷺ أنه قال :" **لا تقع سمكة في شبك إلاَّ إذا غَفَلت عن ذكر الله عز وجل** " فلم أحب أن نأكل شيئًا غفل عن ذكر الله –تعالى– . فبكى الرجل ورمي بالصنارة ".

ومما سبق يوضح لنا من كانت تقواه كذلك ، فيكون لمراقبته لله –تعالى– ، إذ أن المراقبة تنشأ عن كمال المعرفة بالله ، وبأنه سبحانه مطلّع على السرائر ، وتدفعه مراقبته لله إلى الطاعات ، وتمنعه من المحظورات .

ومراقبة الصغيرة هي أنها مشاهدة لله –تعالى– ، حيث قوي بسلطان مراقبتها لله –تعالى– ، على باطنها ، فلذلك عظم أثر مراقبتها فهي لا تحس بما يقع حولها من الصارفات ، كأنها فاقدة للحواس مع وجودها ، وذلك ناتج عن مشاهدتها لله –تعالى– لمراقبتها له في تصرف أبيها ، وتذكرها منه حديث رسول الله ﷺ ، أنها لا تريد أن تأكل شيئًا غافلاً عن ذكر الله –تعالى– .

وهذه الحال من المراقبة هى مراقبة المقربين من الصديقين .

وهذه الدرجة من المراقبة كما وضحها الإمام الغزالي (في كتابه الإحياء جـ٤ صـ ٣٤٠) هي الدرجة الأولى ، وهي مراقبة التعظيم والإجلال ، وهو أن يصير

القلب مستغرقًا بملاحظة ذلك الحلال ، ومنكسر تحت الهيبة ، فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلاً .

وهذه المراقبة مقصورة على القلب .

أما الجوارح : فإنها تتعطل عن التلفت إلى المباحات . مثل صيد السمك من المباحات (في حكاية الصغيرة) فضلاً عن المحظورات ، وإذا تحركت ـ الجوارح ـ بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت في حفظها على سند السداد.

فالمراقبة لله إذًا هي تعظيم شعائر الله بإيثارها على غيرها من الأعمال ، أي ألتزام أمر الشريعة وتصغير أمر الدنيا بالنظر إليها بعين الحكمة .

وذلك بتحقير شأنها لما أعده الله من ثواب لمن راقبه .

إن هذا الصوت الداخلي "الضمير" أو مراقبة الله –تعالى– في كل وقت وحين هو صمام الأمن الذي يقي الإنسان الوقوع في الآثام والمهالك ، ويظهر دائمًا في كل وقت ، ومراقبته لجميع تصرفات الإنسان أعم وأشمل من المؤثرات الأخرى كالقانون الوضعي والعرف والعادة .

إن الإنسان قد يفعل فعلاً لا يقع به تحت طائلة القانون الوضعي . ولكن في حكم الشرع يكون مخالفًا .

مثال: كأن يسرق إنسانًا دون أن يقع في أيدي رجال الأمن ، فالقانون لا يؤاخذه؛ لأنه لم يضبط متلبسًا بجريمته ، فالضمير فطري في الإنسان بمعنى أن يولد مزود بتلك الحاسة وإن لم يظهر أثرها في أول حياته إلا بقدر ضئيل ، إلا أنها موجودة فيه بالقوة على معنى الاستعداد لمزاولة سلطاتها ، وتتحول ـ المراقبة ـ أو يقظة ضمير الإنسان ـ من هذا الاستعداد إلى الممارسة الفعلية كلما

كبر الطفل وتقدم في سنى حياته ، كما أشرنا إلى ذلك من قبل في قصة الصغيرة المراقبة لله –تعالى– فيما تأكل ، وهذا يجعلنا نرى الحقيقة والشريعة مخالفين . فالحقيقة أنها ترفض ما أحله الله –تعالى– من صيد السمك والشريعة أن صيد السمك حلالاً شرعًا.

ولكننا نرى أن هذه المراقبة غريزة إلهية ، وصوت سماوي وهو فطري في الإنسان ولكن الناس جميعًا متقاربون في وجود هذه الحاسة لديهم لأن مرجعه إلى أصل الفطرة لأن الإنسان بأصل فطرته قد طبع على الخير وأثر هذا الخير يظهر في توجيه البيئة الاجتماعية لما لَدَى الطفل والتأكيد على أصل فطرته ونقائها ؛ لأن الإنسان ينزل من بطن أمه واستعداده الفطري متجه للخير رغم أن الأفعال تختلف من شخص إلى آخر وتجنب فعل الشر ليس بدرجة واحدة بين جميع الأفراد؛ لذا نرى الأديان السماوية تقرر أن من يعمل صالحًا فله الجزاء الحسن ، ومن يعمل غير ذلك يعاقب بقدر ما اقترف من سيئات، ولولا علم الله الأزلي بطبيعة الإنسان لما قرر هذا ؛ لأن ذلك متصل بأصل فطرة الإنسان ، أي أنه فُطِر على توقع الثواب أو العقاب .

كما أن التعود المستمر للإنسان على سلوك معين يصبح جِبِلاً فيه وتتطبع عليه الشخصية حتى يصير جزء منها . ولذلك أمر النبي ﷺ عامة المسلمين بأن يعلموا أولادهم الصلاة ويحملونهم عليها بالترغيب والتأديب ولا يتجاوز ذلك ، فالصلاة هي الصلة الدائمة بين العبد وربه وعن طريقها يبتعد الإنسان عن الفواحش والمنكرات ، ويقترب من الله –سبحانه– ويحب الخير للجميع ، والصلاة إذا أديت على وجهها هي التي تهذب الوجدان وتجنب العصيان [1] .

ولذلك قال –سبحانه– : ﴿... **إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ [2] .

(١) تنظيم الإسلام للمجتمع ، محمد أبو زهرة صـ١٨٠ ، ١٨١ ، ط دار الفكر العربي .

(٢) سورة العنكبوت من آية : ٤٥ .

وإذا كانت الصلاة تهذب الوجدان فالزكاة تهدف إلى تطهير النفس سواء عند الغني الذي يؤخذ منه أو الفقير الذي يُدفع له . فالغني تطهره من الشح والبخل والفقير تطهر نفسه من الحقد والغل فهي علاج للأثنين معًا قال -تعالى-: ﴿ **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا...** ﴾ (١) .

وكذلك الصوم يربي في النفس قوة الإرادة وصدق العزيمة ومراقبة الله -تعالى- فتسمو بذلك النفس وتعلو ، وهكذا سائر العبادات تربي في نفس الإنسان المثل العليا والقيم الفاضلة .

أما الفطرة فهي سليمة نقية كما شكلها المولى -عز وجل- فقال -تعالى- : ﴿...**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ...** ﴾ (٢) .

وأكبر دليل على مولد الإنسان على الفطرة قول رسولنا الكريم ﷺ :" إن الإنسان يولد على الفطرة مسلمًا ، وأهله يهودانه أو ينصرانه " (٣) وذلك دليل على انسجام فطرة الإنسان مع كلام الله: ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ** ﴾ (٤).

فالإسلام يدعو الإنسان إلى التأمل فى آيات الله فى الأنفس والآفاق وإعمال العقل فيها كى يدرك عظمة الله وإبداعه .

فهذا دليل من النفس البشرية بأنها تعرف الله بالفطرة وتعرف الخير والشر بالفطرة؛ مصداقًا لقوله -تعالى- : ﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ (٥)، وهذه النفس لا تملك

(١) سورة التوبة من آية : ١٠٣ .

(٢) سورة الروم جزء من آية ٣٠ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) سورة الذاريات آية ٢١ .

(٥) سورة الشمس آية ٨ .

لنفسها نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله وإنها منسجمة مع الإيمان بفطرة خلقها .. ومنسجمة مع الله بفطرتها الإيمانية [1] .

وتقوى الله هي ثمرة في قلوب الناس ، لحديث رسول الله ﷺ : " أتقي الله حَيثُما كُنت ". فالإسلام يحرك فى نفس الإنسان الإحساس بمراقبة الله فى كل لحظة وفى كل خطوة وفى كل عمل فالله معه أينما كان ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثلاثَةٍ إِلا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [2]، ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾ [3] .

وذلك على قدر قرب قلب الإنسان من الله يكون قدر صيانته لسره وإرادته يكون حفظه وزمام ذلك صحة التوحيد ، وصحة العمل الذي يؤدي بالإنسان إلى الصلة بالله في كل لحظة، وهذه هي التقوى.

ونرجو من جميع من يقومون على تربية أولادهم ، أن تكون تربية أخلاق (النشئ) الجيل الصاعد – أبناءنا – بأن تكون بهذه الطريقة الإسلامية التي مصدرها القرآن والسنة النبوية المطهرة .

وبذلك نجعل مجتمعنا يهجر حالة التكاسل والتواكل وحالة الفوضى الأخلاقية والسلوكية ويصبح مجتمع تنتشر به القيم والفضائل .

وبوجود تقوى الله داخل كل إنسان تكون أفضل رقابة لعدم وجود فساد ، وبذلك يتحقق العدل والمساواة ، والعدالة الإجتماعية بين البشر ، لأن التحدى الحقيقى والفعلى هو تربية الخُلق ، وتربية الضمير حتى نقضى على كل أشكال الفساد .

---

(١) الأدلة المادية على وجود الله الشيخ الشعراوي صـ ٥٨ بتصرف .

(٢) سورة المجادلة من آية ٧ .

(٣) سورة غافر آية ١٩ .

المبحث الثالث
نشأة الإنسان على الفطرة والطبيعة

إن الله –سبحانه وتعالى– يوجه المسلم إلى الملاحظة والتجربة ، ويوجهه أيضًا إلى الاستشراف للهداية والنور القلبي عن طريق الخلق الكريم والتقوى، والإخلاص، وحب الإنسانية والمعاونة في الخير .

لقد نشأ الإنسان على الفطرة والطبيعة ، ثم حصل على المعارف عن طريق الصدفة والاتفاق ، وطريق الإلهام ، والإيحاء ثم طريق الشرع .

أما ما عرفه الإنسان عن طريق الصدفة :

الاهتداء إلى النار ، والاستفادة منها حيث كان يأكل الطعام نيئًا، ويعود اكتشاف الإنسان للنار إلى حوالي ٥٠٠٠٠٠ ألف سنة ق . م، وتدجين الحيوانات إلى حوالي ١٢٠٠٠ سنة ق . م .

فكيف توصل إلى ذلك ؟ وما أهميتها بالنسبة للإنسان ؟

١ ـ أتعرف كيف اكتشف إنسان ما قبل التاريخ النار وأهمية هذا الاكتشاف .

اكتشف الإنسان البدائي النار إنطلاقًا من مشاهدة النيران التي تشتعل في الغابات بسبب الصواعق والبراكين ، حيث كان يحمل معه بعض الأجزاء المشتعلة ليستعملها في حياته اليومية . ثم توصل إلى إضرام النار بواسطة طرق الحجارة وحك أغصان الأشجار بعضها مع بعض . وقد استعمل هذه النار في تذويب المعادن وشي الأواني الطينية وتسخين الجلود والخشب والحجارة لاستعمالها ، والإضاءة والحماية من الحيوانات المفترسة وطهي الطعام .

٢ ـ اكتشف كيف ومتى اكتشف إنسان ما قبل التاريخ الحيوانات وأتبين أهمية ذلك .

يعد الكلب أول حيوان دجنها الإنسان ، وكان يصطحبه في تنقلاته ويعتمد عليه في القنص وفي حمايته من الحيوانات المفترسة ، ثم دجن بعد ذلك باقي الحيوانات مثل الخرفان والماعز والبقر والحصان ، حيث كان ينقل صغاره إلى مقر سكناه فاستأنست وتوالدت .

وتتمثل فوائدها للإنسان لتوفير تغذية مضمونة ومنتظمة من الحليب واللحوم ، واستعمال جلودها وصوفها لصنع الملابس ، وركوبها للانتقال من مكان إلى آخر ، وحمل أمتعته .

خاتمة: تحسنت حياة الإنسان وتغذيته بعد اكتشاف النار وطهي الحيوانات[1].

أما ما عرفه الإنسان عن طريق الإلهام الإلهي :

ما اكتشفه من خواص الخشب الذي يطفو على وجه الماء ، فبدأ يصنع السفن ، ويتخذها وسيلة للانتقال في البحر ، .كما حدث مع سيدنا نوح لما صنع الفلك . .

وأخذ الإنسان يطور تلك الوسائل ، إلى أن اهتدى إلى خالق الخلق، رب العباد، وهذا يؤدي بنا إلى معرفة سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام التوصل لخالق الكون؛ وذلك لقوله -تعالى- : ﴿ **وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا**

(١) إعلانات جوجل . اكتشاف النار . النت .

تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

ذكر ابن كثير عند تفسيره لهذه الآيات : " وكذلك نُرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض " أي نبين له وجه الدلالة في نظره إلى خَلَقهما على وحدانية الله عز وجل في ملكه وخلقه وأنه لا إله غيره ولا رب سواه ، ..

أى نُريه ذلك ليكون عالِما وموقنًا . وقوله -تعالى- : ﴿ **فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ**﴾ أي تغشاه وستره .﴿ **رَأَى كَوْكَبًا** ﴾ أي : نجمًا ﴿**قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ**﴾ أي: غاب ﴿ **قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ** ﴾ قال قتادة : علم أن ربه دائم لا يزول ﴿**فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا** ﴾ أي طالعًا ﴿ **قَالَ هَذَا رَبِّي .. .** ﴾ ﴿ **فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي** ﴾ أي هذا المنير الطالع ربي ﴿**هَذَا أَكْبَرُ** ﴾ لأنها أكثر إضاءة ، فلما غابت وانتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع قال : ﴿ **يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** ﴾ أي أنا برئ من عبادتهن وموالاتهن ، إنما أعبد خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها الذي بيده ملكوت كل شيء وخالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه (٢) .

وهذا يدلنا لقول رسول الله ﷺ:"**كل مولود يولد على الفطرة**"(٣)، وأن إبراهيم الخليل هو أَولَى الناس بالفطرة السليمة السجية المستقيمة بعد رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب .

(١) سورة الأنعام الآيات ٧٥ : ٧٩ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ٣صـ١٧٤، ١٧٥ (بتصرف) .

(٣) سبق تخريجه .

أما ما عرفه الإنسان عن طريق الملاحظة والتجربة والتأمل الباطني :

نجد "ديكارت" قد استدل على وجوده بقوله "أنا أفكر فأنا إذن موجود" ونرى الإمام الغزالي قد سبق الفيلسوف ديكارت إلى ذلك بنحو "٦٥٠سنة" معتمدًا على تجربته مع نفسه حين قال : " أنا أمارس تجربة روحية حرة . أنا أتحرر، أنا أتذوق "أنا أتألم فأنا موجود" فهو بذلك سبق ديكارت و"بسكال" وأنه أدرك قيمة التأمل الباطني أي الاستيطان ومتابعة ما بداخله وهو إحدى طرق البحث عن الحقيقة .

وكما نعلم الناس مختلفون في الاستعداد للأخلاق ، فمن الناس من هم أخيار بطبعهم ، وهم قليل ، ولا يتقبلون الشر بحال .

ومن الناس من هم أشرار بطبعهم ، وهم كثير ، ولا يستطيعون أن يصدر عنهم الخير البتة .

وبين هؤلاء وهؤلاء قوم لديهم استعداد لأن ينتقلوا إلى الخير أو إلى الشر بالتربية.

وفي الصفحات التالية سنتحدث عن مكونات الفطرة فلنبدأ على بركة الله .

المبحث الرابع
مكونات الفطرة

كل إنسان مركب من نفس وبدن وروح وكلنا يعلم أن النفس كانت جاهلة في مبدأ الفطرة كما قال -تعالى-: ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ (١) .

ومن فصول الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها تتكون من سبع قوى ، بمعنى : أن الفطرة مكونة من عدة قوى متماسكة ، لا ينفلت أحدها عن الآخر .

أولاً : القوى النامية :

وهى قوى موجودة في الإنسان بطبيعته تلاحظ بالنظر والعين المجردة ومكانها جميع البدن ، بحيث الإنسان يولد طفلاً صغيرًا رضيعًا ، ثم بعد ذلك ينمو شيئًا فشيئًا وتزداد أعضاءه ، وينمو جسده إلى أن يصل إلى مرحلة أن يأكل الطعام ، ثم تسترسل القوى النامية نموها في مراحل الإنسان إلى نهاية عمره ، وحينئذ تتوقف القوى النامية حين يموت الإنسان .

ثانيًا : القوى الهاضمة :

وهى قوة أوجدها الله -سبحانه وتعالى- في الإنسان لتقوم بهضم الطعام وتحويله إلى مواد نافعة تمد بها الجسد لصالح القوى النامية ، فالقوى النامية والقوى الهاضمة قوتان متلازمتان لا ينفك إحداهما عن الأخرى ؛ لأن القوى الهاضمة تهضم ، والنامية تنمو .

---

(١) سورة النحل ، آية ٧٨ .

ثالثًا : القوى الدافعة : " ليس الشديد بالصرعة :

وهى قوة موجودة بالجسد منذ وجود الإنسان؛ لأنها تعمل على تخليص البدن من المواد الضارة بالجسد ، مثل المادة البرازية والمادة البولية ، فإن هاتان المادتان يخرج منهما كل السموم التى تؤذى البدن ، والتى خلفتها القوى الهاضمة نتيجة هضم الطعام ، وتخليص البدن من السموم الزائدة ، فعملت عليها القوى الدافعة ، لتخرجها من الجسد .

رابعًا : القوى الماسكة :

هى قوة موجودة بالبدن تعمل على حماية القوى المتكاملة (النامية ، الهاضمة ، والدافعة) بحيث أن البدن لا تنفك جوارحه عن بعضها البعض إذا حدث تصادم للجسد ، أو وقوع على الأرض ، أو حال النوم، وفي حالة الاسترخاء فإن القوى الماسكة تعمل على تماسك البدن لا تنفك بعضها عن بعض .

خامسًا : القوى الكامنة :

وهى قوة كامنة في جسد الإنسان لا تخرج ، ولا تظهر من الإنسان إلا عند الحاجة وهى قوة الغضب . قال رسول الله ﷺ : " لا تغضب " .

ومثلاً : إذا ضُرب إنسان على وجهه فضربه .

سادسًا : قوى الشهوة : وهى شهوة البطن والفرج ، وهذه القوى من فطرة ، الإنسان التى خلقه الله –تعالى– عليها .

سابعًا : قوة العقل :

وهى قوة تسيطر على كل هذه القوى لأنها تحت سيطرة العقل [1] ، وذلك لا ينفى أن يكون للعقل حدود يقف عندها ، ولا يتخطاها . وذلك لأن طبيعة

(١) اقتباس من الفخر الرازي ، مفاتيح الغيب ، صـ١٣٨ ، ١٣٩ ، م١ جـ١ (اقتباس) .

العقل الإنسانى أن يعجز عن معرفة الحق في الأمور الغيبية التى تتصل بالحياة الأخرى ، أى ما بعد الموت .

وقد اعترف الإمام الغزالى في كتابه المسمى (المقصد الأسمى) أن هناك أمورًا تخفى على العقل بصفة عامة ، وأن ما يخفى عليها منها على نوعين : فهناك أمور قد تدركها بعض العقول ، ولكنها تبقى مغلقة ، ومحجبة بالأسرار بالنسبة إلى معظم البشر ، وهناك أمور أخرى لا يتسنى إدراكها لأى عقل إنسانى ، مهما بلغت حدته وقوة نفاذه ، وهى " ذلك العظيم المطلق الذى جاوز جميع حدود العقل ، حتى لم تتصور الإحاطة بكنهه " فيضطر العقل إلى الاعتراف من تلقاء نفسه أن هناك طورًا أو مرتبة أسمى منه ، وليس في هذا الاعتراف ما يعينه ، لأنه حتى في حال عجزه ، يعرف طاقته ، ويعلم قدر نفسه [١] .

وهنا يبرز سؤال إلى الذهن ، لماذا القوى سبع وليست أقل أو أكثر ؟

والجواب عن ذلك: لأن أعضاء سجود الإنسان على سبع : الجبين واليدين والقدمين والركبتين والجبهة بالأنف معًا ، وفي قوى الإنسان سبع، والأرضين سبع، والسموات سبع ، وحتى القرآن الكريم أوتيت سبع مثانى .

(١) دكتور محمود قاسم ، دراسات في الفلسفة الإسلامية ، صـ١٥٨ ، ١٥٩ ط٢ سنة ١٩٦٧ ، دار المعارف بمصر (بتصرف شديد) .

المبحث الخامس
عوامل نمو الفطرة

تمهيد :

من حكمة الله -تعالى- أن أباح لعباده الزواج وجعله آية من آيات رحمته فقال -عز من قائل- : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾ (١) .

وإن شاء -سبحانه وتعالى- ، أن يجعل لهذه الحياة الزوجية ثمار ، ومن أكبر النعم التي يمن بها الله على عباده ثمرة الأبناء ،ـ حيث يجعل من يشاء عقيمًا ـ.

وحيث إن الأبناء نعمة من الله -سبحانه وتعالى- يتمناها الناس كما تمناها الأنبياء ، قال -تعالى- في شأن سيدنا زكريا -عليه السلام- : ﴿ **هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء** ﴾ (٢) .

فلذا الناس يدعون ربهم أن يهبهم ذرية طيبة ، وفي وصف عباد الله الذين شرفهم بالإضافة إليه ، وسماهم عباد الرحمن. قال -تعالى- : ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا**﴾ (٣) .

فالأولاد نعمة من الله ، أنعم بها ، وهذه النعمة قد ينالها البعض ولا ينالها آخرون ، وما يمنح الله لعباده منها قد يكون ذكرًا وقد يكون أنثى ، وقد لا يُنجب الرجل مطلقًا بأن يكون عَقِيمًا ، وذلك كله يدلنا على سعة علم الله -تعالى- وحكمته وقدرته وإرادته .

---

(١) سورة الروم آية ٢١ .

(٢) سورة آل عمران ، آية ٣٨ .

(٣) سورة الفرقان آية ٧٤ .

قال -تعالى- : ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاء يَهَبُ لِمَنْ يَشَاء إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاء الذُّكُورَ* أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاء عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ** ﴾ (١) .

ولذا كلف الله -تعالى- الخلق بشكر أكبر نعمه التي يتمناها الناس ورعايتها وحفظها، وذلك من خلال تربيته التربية الإسلامية السليمة ؛ لأن الناشئ لبنة في مجتمعه الصغير المتمثل في الأسرة ، والأسرة لبنة في المجتمع الكبير وهي الأمة .

ومن هنا نوضح المنهج الإسلامي وما اشتمل عليه من مبادئ عظيمة في تربية النفوس وتنشئة الأجيال ، لكي يتحقق الهدف الأسمى من وجودها وهو عبادة الله، العبادة بمعناها الشامل لجميع جوانب الإنسان الروحية والخلقية والجسمية والعقلية وغيرها من الجوانب . فلنبدأ على بركة الله .

أولاً : معنى كلمة التربية لغة :

عند البحث في قواميس اللغة وجدنا معناها يراد به : الزيادة والنمو والنشأة والرعاية ، والمحافظة ، والتغذية ، وعلو الشأن والارتفاع (٢) .

أما تعريف التربية اصطلاحًا :

يوجد لها تعريفات عديدة بحسب أهداف الأمم أو المجتمعات في نوعية الشخصية التي تريد بناءها . فهناك من يرى أن هدف التربية عامة تكوين إنسان كامل من الجوانب الإنسانية ، ويمثل هذا الرأي سبنسر (٣) .

---

(١) سورة الشورى الآيتان ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) لسان العرب مادة ربي ، وأنظر الفيروزآبادي . باب الواو والياء فصل الراء ص١٢٨٦.

(٣) في التربية ـ سبنسر ـ ترجمة محمد السباعي ص٨ ، مطبعة الجريدة . القاهرة ١٩٠٨م .

وهناك من يرى أن الهدف من التربية هو تكوين المواطن الصالح في المجتمع أو الدولة ويمثل هذا الرأي أفلاطون [١] . أما من يرى أن الهدف من التربية هو بناء الشخص أخلاقيًا ويمثل هذا الرأي هيجل [٢].

أما التربية الإسلامية تعني : تنشئة وإعداد إنسان متكامل في جميع المجالات والنواحي المختلفة وهي العقلية والروحية والأخلاقية والصحية والاعتقادية والإرادية والإبداعية وكل ذلك جاء به الإسلام لأنه يرى أن الفرد هو اللبنة الأولى التي يتكون منها المجتمع ، لذلك ينبغي أن نوجه إليه عنايتنا ، ونهيئ له الفرص التي تنمي مواهبه فيصبح إنسانًا سويًا صالحًا ، ولذلك فالتربية تبدأ بالفرد .

وإذا أحسنت تربية الفرد . فمما لا شك فيه أن هذه التربية سوف تشمل الجماعة كلها .

من أجل هذا اعتنى الإسلام اعتناء كبيرًا بالفرد ودعا إلى تربيته ماديًا ومعنويًا على أساس أخلاقي حتى يكون قادرًا على تحمل المسئولية عندما يكبر ، فيؤدي واجبه نحو ربه ونفسه ومجتمعه .

فالتربية ضرورية للفرد كالطعام للجسد ، حيث أن الطعام يحفظ على الجسد بقاءه فالتربية تحفظ على الإنسان سلامته واطمئنانه في الحياة وتجعله لبنة صالحة في المجتمع .

وحاجة الإنسان إلى التربية ضرورية منذ صغره وقبل أن يتم نضجه . والإسلام يهيب بالآباء أن يقوموا بهذا الواجب ويحذرهم خطر المساءلة عليه [٣] .

(١) الثقافة والتربية في العصور القديمة د/ وهيب إبراهيم سمعان صـ ٢٣٠ .

(٢) تربية الإنسان الجديد د/ فاضل الجمالي صـ ١٧٧ ، ط الاتحاد العام التونسي للتوزيع ١٩١٧م .

(٣) الإسلام وحقوق الإنسان د/ محمد عبد المنعم خفاجى صـ ١٢٨ .

يقول –سبحانه– : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ** .. ﴾ (١) . ويقول ﷺ : " **كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته** " (٢).

ولقد عُني الإسلام عناية بالغة بتربية الأبناء ، ولذلك حرص على المنبت الخيِّر في الأبوين وعني بالأسرة من حيث كونها الحاضنة الأولى للأبناء؛ لأن الأسرة هي اللبنة الأولى من لبنات المجتمع ؛ لأن المجتمع يتكون من مجموع الأسر وانضمام بعضها إلى بعض .

ومن هنا جاء الاهتمام أولاً بالأسرة وبنائها على أُسس سليمة لتقوم بدورها على أكمل وجه، حيث يتعلم منها الإنسان السلوك الاجتماعي منذ بدايته في الحياة، وللأسرة أثر بالغ الأهمية في تربية شخصية الناشئ من خلال التنشئة الاجتماعية السليمة؛ لأن التربية تبدأ عن طريق المحاكاة والتلقين فالطفل ينشأ فيرى أبويه يقرأن القرآن ويقيمان الصلاة وغير ذلك من الشعائر الدينية المختلفة (٣) .

وحيث إن أساس تكوين الأسرة هو الزواج لقوله –تعالى– : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾ (٤) .

فلذلك اهتم الإسلام وحث على اختيار الزوجة الصالحة ؛ لأن حسن الاختيار للزوجة من أقوى الأسباب في تماسك بنيان الأسرة واستقرارها . قال

(١) سورة التحريم من آية : ٦ .

(٢) صحيح مسلم ، باب فضيلة الإمام العادل .

(٣) الطفل في الشريعة الإسلامية صـ ٢٤٨ ، محمد بن أحمد صالح بتصرف .

(٤) سورة الروم آية ٢١ .

رسول الله ﷺ : "**تنكح المرأة لأربع ، لمالها ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك** " (١) .

وحديث رسول الله ﷺ يهدف إلى يتحرى المسلمون في بناء أسرهم الزوجة الصالحة ، ذات الأصل والمنبت الطيب ؛ لأن أخلاق المرأة تتأثر بالبيئة التي نشأت فيها وبذلك أبنائها يرثون عنها الأخلاق والطباع ؛ لأن كل إناء ينضح بما فيه ، وليس الأبناء يرثون الأخلاق والطباع من الأم فقط ولكن أيضًا من الأب ، وذلك فعلى ولي المرأة . الزوجة والأم فيما . سيكون . حثته الشريعة على حسن اختيار الزوج الكفء الملتزم بشرائع الإسلام وذو خلق وأمانة لقول الرسول ﷺ أنه قال : " **إذا خطب إليكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه ، إلا تفعلوا لتكن فتنة في الأرض وفساد كبير** " (٢) .

وبعد اختيار الزوجين الصالحين ، وما رزقهما الله من ذرية ، فالله –تعالى– يرعى ما رزقهم به من أبناء وهم في الرحم وذلك بعد الإقرار يبين لنا الله سبحانه كيف كانت رعايته للإنسان منذ اللحظة الأولى التي كان فيها نطفة .. . إلى أن يخرج طفلاً ثم إلى أن يكبر واستدل بهذه الأطوار على كمال قدرته –تعالى– على البعث قال –تعالى– : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ**

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب النكاح ٣٤٦/٣ ح٥٠٩٠ عن أبي هريرة ، وابن ماجة في سننه ج١ صـ٣٤٦ ، وأحمد في مسنده جـ٢ صـ٤٢٨ ، والنسائي كتاب النكاح . باب كراهية تزويج الزناه جـ٦صـ ٦٨ .

(٢) رواه الترمذي في سننه ، كتاب النكاح ٣٨٥/٣ . ٣٨٦ ح١٠٨٤ عن أبي هريرة وجاء الحديث من عدة طرق توصله إلى الحسن .

لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ﴾ (١) .

وبعد أن يخرجوا الأبناء . الأطفال أو النشئ . إلى الوجود ، فقد أمرنا الله – تعالى– بحق الطفل في الرضاع حتى يضمن له من اللحظات الأولى ما تقوم به حياته وينهض ، فقال –تعالى– : ﴿ **وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ .. .** ﴾ (٢) .

وهكذا يهتم الإسلام بالرضيع ويتعهده من مختلف الجوانب ليس فقط بنموه العقدي عندما يكبر وغرس العقيدة الإسلامية فيه وتزويده بالقيم والمثل العليا وإكسابه المعارف والمهارات المختلفة ، وتنمية الاتجاهات السلوكية البناءة بإعداده ليكون قادرًا على حمل رسالة الإسلام وليكون لبنة صالحة في مجتمعه ، ولكن اهتم الإسلام بنموه الوجداني ، حيث الحقوق التي أعطيت له ولمرضعته ولحاضنته أو حاضنه . التي وضحتها الآية الكريمة . تهدف إلى توفير الظروف الملائمة لتنشئته تنشئة سليمة من جميع الوجوه حيث التوجيه الرباني بامتداد الرضاعة عامين كاملين ليس فقط للنمو الجسمي بل النمو الانفعالي ، حيث سن الطفولة تنطبع العادات الحسنة أو العادات السيئة فهو لا يفرق بين الخير والشر إلا من تصرفات أسرته معه ، وهو يحاول أن يقلد كل ما يرى ويسمع في أسرته وما يُسمح له بفعله فهو خير في نظره ، وما يُنهي عنه فهو شر عنده .

---

(١) سورة الحج من آية ٥ .

(٢) سورة البقرة من آية ٢٣٣ .

وراعي وحث الإسلام على المحافظة على حياة الأبناء والدفاع عنهم وتوفير السعادة لهم فقال –تعالى- : ﴿ **وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم** ... ﴾ (١) .

واجبات الأسرة التربوية :

بعد إيجاد النسل الصالح ، كما نصت عليه الشريعة ، من اختيار الزوجين الصالحين ، لتكوين الأسرة . سبق شرحها وكيفية اختيارهم .

وقد عَلَّمنا رسولنا الكريم أن نُحسن اختيار أسماء أبناءنا فقال ﷺ : " من وُلد له ولد فليُحسن اسمه وأدبه ... " (٢) .

وعلى أثر ذلك يتربى الطفل في جو سعيد كله عطف ومودة بعيد عن القلق الذي يؤدي به إلى العُقد النفسية التي تؤثر عليه في مستقبل حياته؛ ولذلك علَّمنا رسولنا الكريم منهج التربية السليمة في معاملته للأطفال بعطف ومحبة ومداعبته لهم.

روي أسامة بن زيد . رضي الله عنه . قال أن رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه ، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمنا ثم يقول :" **اللهم أرحمهما فإني أحبهما ، وكذلك أُمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ** " (٣) .

أما التربية الخلقية :

وهي روح التربية والوصول إلى الخلق الكامل هو الغرض الحقيقي من التربية وهذا الجانب يبرز من ربط شريعة الله من العبادات وما نجنيه من ثمارها بالبعد

---

(١) سورة الإسراء من آية ٣١ .

(٢) أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان الفصل الستون ٤٠١/٦ ح٨٦٦٦ عن ابن عباس ط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٠ هـ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه .كتاب الأدب ٨٠/٤ ح٦٠٠٣ عن أسامة بن زيد .

والنهي عن الفحشاء وتعويد الإنسان على الأخلاق السامية والصفات الكريمة كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما جاء في وصايا لقمان لابنه فالصلاة والعبادات تبعد المسلم عن الرذائل وتطهره من سوء القول والعمل .

وهكذا يجب على من يقول بتربية النشئ أن يربط بين الدين وما فيه من شرائع وعبادات وبين الأخلاق .

وهذا الربط نجده كثيرًا في القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية المطهرة قال -تعالى- : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ (١) .

ومن السنة النبوية : عن ابن عباس . رضي الله عنهما . عن رسول الله ﷺ قال: " **ألزموا أبنائكم وأحسنوا أدبهم** " (٢) .

ثم التربية الجسمية:

نجد أن الإسلام لاهتمامه واعتناءه بالناحية الجسمية لدى الأطفال من حين وضعهم ووجودهم في رحم الأم نرى الله -تعالى- أباح للحامل والمرضع الفطر في رمضان ، إذا خافتا على ولديهما . ولسلامة الأطفال أيضًا من الأمراض الوراثية أو العاهات فقد حثت الشريعة على أن الزواج يكون أفضل لسلامة الأولاد إذا كان الزوجين متباعدين غير أقارب وهذا ما أثبته علم الوراثة في العصر الحديث أن للزواج بين الأقارب آثار نفسية وعقلية (٣) .

وليس هذا فحسب وإنما يهتم الإسلام إلى جانب ذلك بالطاقة الحيوية والقوة في الجسم الإنساني ، والتي يجتمع فيها الخير والشر والغرائز والنزعات فهذه الطاقة

---

(١) سورة التوبة آية ١١٩ .

(٢) أخرجه ابن ماجه فى سننه ، كتاب الأدب ، باب بر الولد والإحسان إلى البنات ١٢١١/١ ح٣٦٧١ بسنده عن أنس .

(٣) الطفل المثالي في الإسلام ، عبد الغني الخطيب صـ ١٤٣ .

لا تترك دون تنظيم، فتؤذي وتدمر وإنما يجب تربيتها والسمو بها وضبطها وتنظيمها، وفي هذا يقول الأستاذ محمد قطب : " الإسلام في تربيته للجسم والطاقة الحيوية يراعي الأمرين معًا يراعي الجسم من حيث هو جسم ليصل منه إلى الغاية النفسية المرتبطة به ، فحين يقول الرسول الكريم : " إن لبدنك عليك حقًا "، من إطعام وإراحة وتنظيف وتقويم فهو يدعو إلى هذه العناية الشاملة بالجسم كله ، ليأخذ الإنسان بنصيب من المتاع الحسي الطيب الحلال الذي أمر الله به في توجيهاته الكثيرة ﴿...**وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**...﴾(١) ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ** ... ﴾ (٢) أي لغاية نفسية مقامة على قاعدة جسمية ، ثم ليوفر الطاقة الحيوية اللازمة لتحقيق أهداف الحياة وهي أهداف تشمل كل كيان الإنسان " (٣) .

فالرسول الكريم حينما يدعو إلى تعلم الرماية والسباحة والفروسية يقصد من وراء تلك الدعوة تقوية جسم الإنسان حينما يتحمل المشاق ؛ لأن الجسم المريض الهزيل لا يستطيع أن يأخذ نصيبه من الحياة الدنيا ، كما أنه لا يقوى على العمل فيها ، لأن العمل يحتاج إلى جسم قوي البنيان .

ولهذا قال ﷺ : "**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف** " (٤).

وسباق الجري من أنواع الرياضة ، وأيضًا سباق الخيل والإبل وهي من ضروب الفروسية التي مارسها ﷺ هو وأصحابه ، وكان نشاط الرسول ﷺ في مشيه وفي عمله يدل على ما يتمتع به من قوة جسمية .

---

(١) سورة القصص من آية : ٧٧ .

(٢) سورة الأعراف من آية : ٣٢ .

(٣) منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب صـ١٢٥ ط٣ ، ١٣٨٦هـ. ١٩٦٧م .

(٤) أخرجه مسلم فى صحيحه ،كتاب القدر ، باب الأمر بالقوة وترك العجز ٢٦٦٤/٤ عن أبى هريرة .

يقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كان رسول الله ﷺ إذا مشي تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبب " [١] .

كل هذا يدل على أن الإسلام يهتم بالتربية الجسدية كما يهتم بالتربية الروحية ـ فيما سنوضحه ـ حتى يشب الإنسان قويًا حسًا ومعنى .

ثم تأتي التربية للناحية العقلية :

الأطفال في السن الصغيرة أقوى على تحمل مصاعب ومعاناة العلم ؛ لأن لهم عقول متوقدة يستطيعوا أن يستوعبوا العلوم والمعارف على أنواعها واختلافهما ، ولذلك يجب الاعتناء بالقرآن الكريم منذ الصغر وأن نعلمه المطالعة الواعية وإعطاءهم حرية السؤال والمناقشة ، ليكونوا قادرين على تحمل المسئوليات .

وبجانب تنمية عقل الناشئ لابد من تربيته نفسيًا وذلك بأن يكون العدل والمساواة بين الأخوة كما تشملهم الرعاية والعاطفة والحنان بالتساوى وعدم التفريق بين الأبناء في المعاملة سواء المحسوسة أو المعنوية .

وقد ضرب لنا رسولنا الكريمﷺ المثل الأعلى ليعطي الآباء والمربين القدوة في ذلك، حيث روت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن الرسولﷺ قالت: "قبَّل رسول الله ﷺ الحسن والحسين وعنده الأقرع بن حابي التميمي فقال :" إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحد قط فنظر إليه الرسولﷺ ثم قال: "**من لا يرحم لا يُرحم**" [٢] .

---

(١) زاد المعاد ـ تحقيق شعيب الأرنؤط ، عبد القادر الأرنؤط ، جـ١صـ ١٦٧ فصل في هديه في مشية وحده ومع أصحابه ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامية .

(٢) رواه البخاري ـ كتاب الأدب جـ٨صـ ٩ ، ورواه الترمذي في كتاب البر والصلة جـ٤صـ ٧٩ ح٥٩٩٧ عن أبي هريرة .

آداب لابد منها :

ويرسى القرآن الكريم أهم أصول الآداب التي يجب أن يتعلمها الناشئ ، صغيرًا وعندما يبلغ الحُلم ، وهي آداب الاستئذان داخل الأسرة لأهميتها الشديدة قال -تعالى- : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاء ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾ (١) .

علَّمنا الله -تعالى- . نحن المربين . في قرآنه العزيز كيفية الاستئذان سواء للأطفال الذين لم يبلُغوا الحُلم أو الشباب الذين بلغوا الحُلم ـ أي سن التمييز ـ وذلك عند دخولهم على الكبار في وقت الراحة والخلوة .

وذلك لأن الأبوين قد يكونا في حالة لا يُفَّضل إطَّلاع الطفل أو الابن عليها ، وهذه هي حكمة الله -تعالى- لما يترتب على ذلك ـ إذا لم يتعلم الاستئذان ـ من انحرافات وآثار نفسية . وهذا إن دل يدل على اهتمام الإسلام بالتربية وتعليم الحياء لأبنائنا .

التربية العملية لا النظرية :

والمقصود بالتربية العملية ، أن الناشئ الذي نربيه يجب أن يرى بعينه سلوكيات وصفات تطالبه أن يفعلها أو يتحلى بها .

---

(١) سورة النور الآيتان ٥٨ ، ٥٩ .

وذلك أن قوله لا يخالف عمله ، بمعنى أن أمه أو أباه لا يقول الصدق مثلاً ويطالبونه أن يكون صادقاً وهو لا يرى ذلك الفعل منهم بأن يسأل أحد على أبيه ويطلب منه أن يُخبر السائل بأنه غير موجود فكيف ومتى يتأسى الابن وهو يرى ويسمع عكس ما يُطلب منه .

وقد أخبرنا رسولنا الكريم أن نكون صادقين مع أبنائنا حتى ولو كانوا أطفالاً لا يميزون .

عن عبد الله بن عامر . رضي الله عنه . قال : " دعتني أمي يومًا ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: يا عبد الله –تعالى– أعطيك، فقال لها : (ما أردت أن تعطه) ؟ قالت: تمرًا، فقال: **أما أنك لو لم تعطه شيئًا كتبت عليك كذبة**)[1].

فهذا هو الصدق الذي يجب أن نعلمه أبناءنا ليكسبهم هذا الخلق الكريم .

وخير ما نختم به موضوعنا عن التربية والنشئ ما قدمه لنا القرآن الكريم كيف نربى أبناءنا ونعلمهم تعاليم الإسلام . الذي هو دين الفطرة . وذلك في صورة وصايا على لسان لقمان .

يقول الله –سبحانه وتعالى– : ﴿ **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الإنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا**

(١) أخرجه أبو داود فى سننه ، كتاب الأدب ، باب التشديد فى الكذب ٢٩٩/٤ ح٤٩٩١ ، ط الحديث . القاهرة .

اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ * وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (١) .

لقد اشتملت وصايا لقمان لابنه ، على جانب العقيدة وصلته بالله ، ومعرفة صفاته ، كعلم الله الذي أحاط بكل شيء ، كما اشتملت على الأخلاق والشريعة، ولكنه بدأ وصاياه لابنه ، كأول أساس في التربية والتوجيه ، وهو العقيدة وترسيخها بعدم الإشراك بالله ، وتوحيده ولأهمية بر الوالدين جاء مباشرة بعد توحيد الله ، قبل أن يوصيه بأهمية الصلاة ، وهذا جانب الشريعة ؛ ولأن من ثمرة الصلاة إنها تنهي عن الفحشاء والمنكر ، وتهذب النفس ، وصى لقمان ابنه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ووصاه أيضًا بعدم التكبر وعدم الإعراض عن الناس إذا كلمهم أو كلموه ، لأن الله لا يحب المختال المعجب في نفسه فخور على غيره كما وصاه بعدم المبالغة في الكلام وعدم رفع صوته فيما لا فائدة فيه لأن أقبح الأصوات لصوت الحمير (٢) .

وهكذا اشتملت وصايا لقمان لابنه على الجانب الروحي المتمثل في عبادة الله وحده وعدم الشرك به وذلك في جانب العقيدة والشريعة في الصلاة . أي أن الإسلام يهتم **بالناحية الروحية** في تربية النشئ على أنه وحدة متكاملة وإن اختلفت جوانب تربيته ، فإن نموها عملية متكاملة لا يمكن الفصل بين جانب وآخر .

---

(١) سورة لقمان ، الآيات ١٣ : ١٩ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ٦ صـ ١٥٠ ،١٥١ بتصرف شديد .

الخاتمة

أهم النتائج التى توصل إليها البحث هى :

١ ـ أن الفطرة السليمة أصل ما خُلقنا عليه .

٢ ـ أن الإنسان يولد على الفطرة وهو مزود بالغرائز ، والقوى والاستعداد للخير والشر ، غير أن درجة الاستعداد للخير والشر ليست متساوية . قد بينا ذلك بأن الإنسان أقرب إلى الخير بأصل فطرته .

٣ ـ التقوى بالله تصل بالإنسان إلى بلوغ الكمال الإنسانى ، لأن التقوى هى مقياس الأخلاق الإسلامية . قد بينا كيف مراقبة الله –تعالى– تبلغ بالإنسان أن تتعطل جوارحه عن التلفت إلى المباحات كقصة الصغيرة مع صيد السمك .

٤ ـ أن التربية فى المنظور الإسلامى تعنى تنشئة وإعداد إنسان متكامل من جميع نواحيه المختلفة صحية ، وعقلية، وروحية، وإعتقادية، وأخلاقية ، وإبداعية، وإرادية ، وذلك فى ضوء المبادىء والقيم العامة التى جاء بها الإسلام ، وفى ضوء الطرق والأساليب التى بينها .

توصيات :

١ ـ نوصى الآباء والأمهات وكل القائمين على الناحية التعليمية والمؤسسات التربوية الأهتمام الشديد بالنشىء ، وتقديم القدوة السليمة لهم . مثال قصة الصغيرة مع صيد السمك .

٢ ـ الحث على اختيار الزوجة الصالحة ، والزوج الصالح لأنهما من أقوى الأسباب فى تماسك بنيان الأسرة واستقرارها .

٣ ـ تربية الخُلق وتربية الضمير للنشىء الصغير ، وهذا هو التحدى الحقيقى للقضاء على كل أشكال الفساد فى المجتمع وكل مؤسسات الدولة .

ثبت المصادر والمراجع

*القرآن الكريم .

١. الأدلة المادية على وجود الله ، الشيخ الشعراوى .

٢. الإسلام وحقوق الإنسان ، د / محمد عبد المنعم خفاجى .

٣. إعلانات جوجل . النت .

٤. تاج العروس ، الزبيدى ، جـ٤ .

٥. تحفة الأحوذى ، المباركفورى ، جـ٧ .

٦. تربية الإنسان الجيد ، د / فاضل الجمالى ، ط الاتحاد العام التونسى للتوزيع ١٩١٧ م .

٧. التعريفات ، السيد الشريف الجرجانى ، ط الأول ١٤٠٧ هـ . ١٩٨٧ م ، عالم الكتب .

٨. تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ط مكتبة الصفا ، ط الأولى ١٤٢٣ هـ . ٢٠٠٢ م .

٩. تنظيم الإسلام للمجتمع ، محمد أبو زهرة ، ط دار الفكر العربى .

١٠. تهذيب الأخلاق ، لابن مسكويه .

١١. الثقافة والتربية فى العصور القديمة ، د / وهيب إبراهيم سمعان .

١٢. جامع البيان ، الطبرى ، جـ٢٩ .

١٣. الجامع لأحكام القرآن ، القرطبى ، جـ١ .

١٤. دلائل النبوة، البيهقى، ط دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ٤٠٨ هـ.

١٥. زاد المعاد ، تحقيق شعيب الأرنؤط ، عبد القادر الأرنؤط ، مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامية .

١٦. زاد المسير ، ابن الجوزى ، جـ١ .

١٧. سنن ابن ماجه جـ١ .
١٨. سنن الترمذى .
١٩. سنن النسائى .
٢٠. سير أعلام النبلاء ، الذهبى .
٢١. صحيح البخارى ، ط المكتبة السلفية .
٢٢. صحيح مسلم .
٢٣. ضرورة الدين لإيجاد ذاتية الأخلاق ، أ / سعيد البوطى .
٢٤. الطبرانى فى الصغير .
٢٥. الطفل فى الشريعة الإسلامية ، محمد بن أحمد صالح .
٢٦. الطفل المثال فى الإسلام ، عبد الغنى الخطيب .
٢٧. العقيدة وخطر الإنحراف ، د / محمد يوسف سنة ١٩٦٣ م .
٢٨. فى التربية . سبنسر ، ترجمة محمد السباعى ، مطبعة الجريدة . القاهرة ١٩٠٨ م.
٢٩. القاموس المحيط ، الفيروزآبادى ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع .
٣٠. القرآن وعلم النفس ، د/ محمد عثمان نجاتى ، ط دار الشروق ١٩٨٢ م .
٣١. لسان العرب ، ابن منظور ، جـ١٥ .
٣٢. مسند الإمام أحمد .
٣٣. معالم فى السلوك ، د / سعد المرصفى .
٣٤. مفاهيم العلوم الإجتماعية والنفس والأخلاق ، الأستاذ أنور الجندى ، ط الأولى ، دار الاعتصام سنة ١٩٧٧ م .
٣٥. منهج التربية الإسلامية ، محمد قطب ، ط ٣ ، ١٣٨٦ هـ . ١٩٦٧ م .
٣٦. نزهة الأعين النواظر ، ابن الجوزى .
٣٧. النهاية فى غريب الأثر ، الجزرى ، جـ٥ .